13-12-2015

الشيخ جمال الدين سيروان

من حلف بغير الله فقد أثم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وشفيعنا وقرة أعيننا محمد وعلى آل بيته الأطهار وصحابته الأبرار وعمن سار على دربهم في هذه الدار، اللهم يا عزيز يا غفار يا عزيز يا غفار يا عزيز يا غفار اغفر لنا ذنوبنا اغفر لنا ذنوبنا اغفر لنا ذنوبنا، اللهم إنا نسألك أن تغفر ذنوبنا كلها قديمها وحديثها، صغيرها وكبيرها سرها وجهرها أولها وآخرها عمدها وخطأها دقها وجلّها، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا ورحمتك أرجى عندنا من أعمالنا، اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا ورحمتك أرجى عندنا من أعمالنا، اغفر لنا يا أرحم الراحمين اللهم إنك تعلم كم أذنبنا وأنت ربنا لا رب لنا إلا أنت ولا إله لنا سواك، اقبل اللهم في هذه اللحظات الكريمة من هذا الشهر الكريم توبتنا، اللهم أقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، واغفر ذنبنا، يا قابل التائبين تب علينا، يا قابل التائبين تب علينا تب علينا ربنا توبةً نصوحًا لا ننقض عقدها أبدًا برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم برحمتك عُمّنا، واكفنا اللهم شر ما أهمنا وأغمنا وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة جمعًا توفنا عند انتهاء آجالنا، نلقاك يا مولانا وأنت راضٍ عنا وإلى غيرك لا تكلنا، ومن شرور خلقك وشرور أنفسنا سلمنا، يا ربنا سلمنا وسلم لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وسلم لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وسلم لنا آخرتنا التي إليها معادنا، سلمنا ربنا من شر الأشرار ومن كيد الفجار، اللهم سلمنا من كيد الفُجار من الروس والإيرانيين، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، أرِنا يا ربنا عجائب قدرتك في هزيمتهم، اللهم يا ربنا يا ربنا نسألك أن تجعلهم عبرةً لكل من اعتبر، اللهم اجعلهم عبرةً لكل من اعتبر، اللهم وأخرج إخواننا أهل الشام من كيدهم سالمين، بقدرتك يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك أن تتكفل بالشام وأهله كما وعدت يا ربنا يا الله، اللهم إنّ حبيبك المصطفى ﷺ قد أخبرنا بأنك متكفلٌ بالشام وأهله، اللهم تكفل بهم اللهم ارعاهم اللهم احفظهم اللهم يا ربنا أمدهم بمددك وأعطهم من عطائك وأفض عليهم من فيضك برحمتك يا أكرم الأكرمين، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا انك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيءٍ قدير وصلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى اله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

أحبتي الكرام، مع المائدة المشرقة، مع الينبوع العذب، مع السلسبيل الطيب، مع الكوثر في الدنيا ونسأل الله تعالى أن يجعله كوثرًا في الآخرة، مع كوثرك سيدي رسول الله ﷺ، في ميلادك الطاهر، في أيامك النضرة، في مستقبل أمتك المشرق، في الحقائق التي غذّيت بها عقولنا، سيدي رسول الله في مستهلِّ هذا الشهر الكريم نتقدم إليك بولادتك التي ولدت من خلالها الإنسانية، عدالةً، كرامةً، حريةً، أنت الذي أعطيت هذه الأمة، بل منحت الإنسانية من خلال ما حباك ربك لأنك الرحمة المُهداة فأنت رحمة العالمين، شاء الله تعالى بتكوينه أن يخاطبك وأن يقول ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. فأنت رحمة العالمين سيدي رسول الله، نحن وفي هذه الأيام النضرة المباركة المشرقة المغدقة أيام ولادتك سيدي رسول الله، يأتينا التفاؤل إثر التفاؤل، والأمل بعد الأمل، لأنّ ولادتك إنما كانت كسرًا لذلك الجمود، ولادتك كانت إزالة لذلك الجحود، وولادتك كانت إظهارًا للحق، وولادتك كانت ميدانًا للصدق، كذلك كانت ولادتك، وُلِدت ووُلِد معك الخير من كل طرف، وُلِدت سيدي رسول الله، فجاءت الأنوار تشرق على الدنيا كلها، وُلِدت والرحمة إنما جعلها الله تعالى قائمةً في أنحاء الأرض، وُلِدت والله جعل لنا من ولادتك منهجنا ألا وهو قرآننا الكريم، نعم سيدي رسول الله صلى الله وسلم وبارك عليك نُصلي عليك مرةً ويصلي الله علينا بها عشرا، وما صلاتنا أمام صلاة ربنا علينا، هو عطاء الله تعالى، أوليس هذا من رحمتك يا سيدي يا رسول الله؟ بأن جعلك الله عز وجل مفتاحًا ليصلي ربنا علينا، صلاةٌ من ربنا تشملنا، وتحيط بنا من كل طرف، فيأتينا الخير، فكيف إذا صلينا عليك وأنت الذي وعدت بأنه من صلى عليك مرةً صلى الله بها عليه عشرا، فالصلاة والسلام عليك سيدي رسول الله، الصلاة

والسلام عليك يا قائدنا إلى الحق، الصلاة والسلام عليك يا قائدنا إلى ميدان الهدى، الصلاة والسلام عليك يا مُخلِّصنا من كل ميادين الردى، الصلاة والسلام عليك عهدًا مع الله معك بألا نحيز عن دربك، بألا نحيز عن دربك، وألا نحيد عن منهجك، وأن نبقى إن شاء الله محبين لك، محبين لربنا سبحانه وتعالى، فنسأل الله بهذا الحب أن يجعل لنا نجاةً في الدنيا ونجاةً في الآخرة، لذلك أحبتي في هذا اليوم المشرق من أيام ربيع ينبغي أن تزدهي قلوبنا بفرحة، ويزداد إصرارنا بالثقة وأن يكون عندنا وضوحٌ في الرؤية، وألا يكون عندنا تردّدٌ في إيمان، نحن على يقينٍ بأنَّ الله سبحانه وتعالى إنما ابتلانا ما في هذه الحياة عجمًا لإراداتنا، وتربيةً لنفوسنا، وخفضًا لكل ما فينا من معاني الهوى، كذلك الله تعالى ينشئ أمة محمدٍ صلى الله وسلم وبارك عليه، فإذن نحن اليوم معك يا سيدي يا رسول الله، في بساتينك المثمرة، في دوحاتك الطاهرة، في ماءك العذب، في كوثرك الذي يغدق علينا في كل ميدان، نحن معك سيدي رسول الله اتباعًا لك، واتباعًا لمنهجك، واتباعًا لك على أنك القدوة التي جعلها الله لنا والأسوة التي نختطت سبيلنا من خلالها فالصلاة والسلام عليك والصلاة والسلام على آل بيتك الأطهار وعلى صحابتك الأبرار وعمن سار على دربهم نسأل الله أن يهدينا سواء الصراط إنه السميع القريب المجيب.

وأعود وإياكم إلى مائدته صلى الله وسلم وبارك عليه، فمائدته كما ذكرنا إنما هي مائدة التنوع الذي يثري الفكر، والذي يقوّم الدرب، والذي يقوّم السلوك، فهنا جاء المصطفى ﷺ لأجل أن نعظم حرمات الله ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾. وأي حرمة أعظم من أن تعظّم الله سبحانه وتعالى، فإذا أمرنا الله تعالى أن نعظم حرماتٍ جعل لها مكانةً، فالله تعالى يختص من شاء، بما شاء، كيف شاء، متى شاء، فالله تعالى هو الذي يختص من عباده ويختص من المكان والزمان ما شاء بما شاء سبحانه وتعالى، وما اختصه الله تعالى ينبغي أن يكون له في نفسنا التوقير والتعزير، ذلكم أنَّ الله تعالى يوم جعل البيت الحرام مقدسًا فعلينا أن نقدسه لأن الله قد قدّسه، ويوم جعل الحجر الأسود مقدسًا فعلينا أن نقدسه لأن الله تعالى أمرنا بتقديسه، ذلكم أننا نعظم حُرمات الله، ولا نعظم إلا ما أمرنا الله أن نعظمه، ولذلك إذا كنا نعظم هذه الحرمات، فكيف بتعظيمنا لمن جعل هذه الحرمات؟ أفلا ينبغي أن يكون تعظيمنا لله سبحانه وتعالى منطلقًا من خلال إحصاء أسمائه الحسنى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾. ادعوه بهذه الأسماء، ادعوه بقلوبكم، ادعوه بحُبكم، ادعوه بالتزامكم، ادعوه بخشيتكم، ادعوه باستغفاركم، ادعوه باستقامتكم، كذلكم هي أسماء الله الحسنى، إنما تدخل فيها من كل أبوابها، تدخل فيها من خشيتك من الله القهار، تدخل فيها من رغبتك بربك التواب، تدخل فيها من خلال انسياب رحمة ربك الرحيم الرحمن، تدخل فيها من خلال العليم الخبير الذي تخشاه في كل لحظة، تدخل فيها من خلال الغفّار الذي تؤوب إليه إذا ما أذنبت، لأن الله جبلنا على هذه الجبلة التي فيها معصيةٌ وطاعة، إقبالٌ وإدبار، كذلك الله تعالى هو الذي قال لنا: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾. هؤلاء إنّ الله تعالى قد جعل لهم عصمةً تكوينيةً، وعصمةً سببية، فإنّ الصلاة الحق إنما تعصم صاحبها من أن يكون من أصحاب الردى، ولذلك الله تعالى إنما آتانا هذه النعم التي أسبغها علينا حتى نعظمه سبحانه وتعالى، فتعظيمنا لله جل وعز إنما يكون من خلال ما أمرنا به بأن نلتزم بما أمر سبحانه وتعالى، لذلك جاءنا هنا بأنّ إنسانًا يحلف بغير الله فإنه يكون من الآثمين، لأنه عظّم من لا يستحق التعظيم، فلا يمكن أن يحلف بغير الله عز وجل، الله تعالى له أن يحلف ما شاء بما شاء سبحانه وتعالى، فيحلف بمخلوقاته وهو سبحانه وتعالى الواحد الأحد الفرد الصمد، ولكننا نحن العباد لا يمكن إلا أن نقسم بربنا سبحانه وتعالى، فإذا أردنا أن نقسم معظمين هذا المُقسَم به، فإنما يكون المُعظَّم هو الله رب العالمين نفرده سبحانه وتعالى بهذا التعظيم في القسم، لذلك جاء القرآن الكريم يؤكد لنا بأن يكون هذا التعظيم في مكانه وألا يكون اللغو بألسنتنا ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾. ينبغي أن تصونوا هذه الأيْمَان، هذه أيمانٌ تذكرون فيها اسم الله جل وعز، تذكرون فيها اسم الجبار، ألا تذكرون أنكم حين تقولون أحلف بالله، أقسم بالله، بأنك تقسم بعظيم العظماء، بملك الملوك، بمالك الملك، فإياك أن تنزل هذا القسم إلا في موقعه وعند الضرورة له، وإياك أن تجعل لسانك منسابًا على الدوام بأن تقول أقسم بالله أقسم بالله، فهذا مما نهى الله عز وجل عنه، وذلك تعظيمًا لله جل وعز، لذلك جاءت هذه الأحاديث لأجل أن تضع لنا مسارًا صحيحًا، وطريقًا واضحةً، حتى لا يكون عندنا خللٌ في تصرفٍ، أو يكون عندنا انحرافٌ في مسارٍ، أو يكون عندنا خطأ في لسانٍ، حتى يكون لساننا لسانًا منضبطًا بما أمر الله تعالى به، فما أحلى لسان المؤمن، فلسان المؤمن لسان الدفء، لسان الحب، لسان العطاء، لسان التقوى، هكذا هو لسان المؤمن، فلا يمكن للمؤمن إلا أن يتكلم الكلام الطيب، ولذلك المصطفى صلى الله وسلم وبارك عليه أمرنا أن نصون هذه الألسنة عن أن تتحدث إلا بصدقٍ، وعن أن تنطق إلا بحقٍ، كذلك هو لسان المؤمن، لا يمكن أن يزوّر حقيقةً، ولا يمكن أن يمضي في باطل فلا يتكلم إلا بالحق.

أعود إليكم لنقرأ الأحاديث ونمعن النظر فيها، يقول المصنف -يرحمه الله-: من حلف بغير الله فقد أثم

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنّ النبي ﷺ أدرك عمر في ركبٍ وهو يحلف بأبيه، فناداهم رسول الله ﷺ "ألا إنّ الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت" قال عمر: فوالله. شوفوا القسم الآن جاء به سيدنا عمر، قال: فوالله ما حلفت بهذا منذ سمعت رسول الله ﷺ، ما حلفت بهذا منذ سمعت رسول الله ﷺ نهى عنها، ذاكرًا ولا آثرا، سيدنا عمر رضي الله عنه هو مثال لمن يتبع رسوله الأعظم ﷺ، إذ كان العرب فيما سبق باعتبار أن آباءهم لهم القدوة العظمى ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾. فكان الآباء هم الذين يمكن أن يُنظر إليهم، لذلك كان عندهم ما يسمى بالحسب، وسبق أن ذكرت لكم إنَّ الحسب غير النسب، فلا بد لكل من له حسب أن يكون له نسب وليس العكس، فقد يكون له نسبٌ ولا حسب له، فالحسب إنما جاء من الحساب ذلك أنَّ أولئك العرب كانوا يعدون محاسن آبائهم وأجدادهم، كذلكم كان العرب يحسبون حسابات الآباء والأجداد، ولذلك لمّا جاء المصطفى ﷺ، يُصلِح لهم عقولهم، ويوضح لهم سبيلهم، فإذا بهم يقولون له إنما جئت أنت لتفسد علينا تصوراتنا، فنحن آباؤنا لم يقولوا بذلك، وكأنّ آبائهم هم مصدر الحق، آبائكم عباد، وأنتم عباد، وكلنا عبادٌ لرب العباد، فإذن أنتم وآباؤكم عليكم أن تنصاعوا لما يقول ربكم وليس لما يقول آباؤكم، فقد يقول آباؤكم حقا فتتبعونه، وقد يقولون باطلًا فتجتنبونه، لذلك كانوا يحلفون بآبائهم معظمين، لذلك النبي ﷺ وجد في الحديث الصحيح لما ذكر عن ذلك الأعرابي الذي جاءه ثائر الشَعر من نجدٍ يسأله، هل أنت ابن عبد المطلب؟ أيكم ابن عبد المطلب؟ قال: أنا ابن عبد المطلب، إني سائلك بالله الذي خلقك وخالق من قبلك وخالق من هو بعدك، آلله أرسلك إلينا؟ أسئلة ذكرتها لكم سابقًا إلى أن وصل عن الإسلام والصلاة والصيام والزكاة، ثم قال ذلك الأعرابي: والله إني أقول ما تقول يا محمد أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ولن أزيد على ما قلت شيئا أبايعك على الذي سمعته منك، فقال ﷺ في رواية: "أفلح وأبيه إن صدق" "أفلح وأبيه إن صدق" رواية في مسلم، طيب كيف هنا النهي؟ لا هذه إما أنها كانت قبل أن يُنهى عن هذا، وإما أنها كانت على سبيل الحكاية فيما يقوله العرب، وليس على سبيل القسم، والأغلب أنها كانت قبل النهي عن ذلك، لذلك سيدنا عمر رضي الله عنه لما سمع هذا النهي من النبي عليه الصلاة والسلام، ماذا قال؟ بعد ذلك ما قلت قسمًا لا ذاكرًا بلساني، ولا آثرًا عن غيري، أي حاكيًا عن غيري، هنا الآثر أي الحاكي عن غيره، أنت بتقول الأثر ورد في الأثر، وبتقول الحديث المأثور أي المحكي الأثر أي الكلام الذي ذُكِر، فهنا لما يقول سيدنا عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ نهى عنها ذاكرًا ولا آثرا، لا ذكرتها بلساني بعد ذلك، لا من حيث ذاتي، فأنا ما حلفت بأبي بعد ذلك أبدًا، ولا تجرأت أن أنقل عن غيري بأنه يقول قد حلف بأبيه، حتى هذا نزّه لسانه حتى حكاية، والحكاية ليس فيها إثم، يعني ناقل الكفر ليس بكافر، مع ذلك سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه أراد أن يسمو فحتى ذكر الحادثة التي عن غيره لم يوردها على لسانه تنزيهًا للسانه عن أن يكون قد وقع فيما نهى عنه الرسول عليه الصلاة والسلام، أرأيتم كيف صياغة الصحابة؟ صياغة، هذه الصياغة صاغها الرسول عليه الصلاة والسلام، ربّى جيلًا لما ربنا عز وجل قال: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾. هؤلاء صحابة كِرام عُظماء هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، لهم منزلتهم، لهم مقامهم، ولا ينبغي أن يكون هناك تجريحٌ بأحدٍ منهم، هناك تجريحٌ بأحدٍ من الصحابة عطفًا على ما كنت قد ذكرته في الأسبوع الماضي، إياكم يا إخوتي أن تظنوا بأنك حين تذكر بأنَّ صحابيًا إنما أخطأ في أمرٍ ما، أنَّ هذا يعتبر جرحًا في شخصه رضي الله تعالى عنه، لأنه بشرٌ يخطئ ويصيب، ولكنّه رضي الله تعالى عنه إنما كحّل عينيه بالنظر إلى وجه الحبيب ﷺ، إنما شاءت التقديرات الربانية بالقدر التكويني، وبالأمر الوهبي، أن يجعل الله هؤلاء الصحابة في عصره ﷺ ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾. إلى آخر الآيات.. إذن أصحاب المصطفى ﷺ إنّ الله عز وجل نسجهم لنا أنهم بشرٌ يخطئون ويصيبون، ولكنَّ صوابهم هو الغالب، خطأهم جاء عارضًا فجاء الصواب، فإذا ذُكِّروا تَذَكَّروا، وإذا ما نُصِحوا أمعنوا، وإذا ما قيل لهم الحق استقاموا، كذلك رضي الله تعالى عنهم كانوا، فإذن كان خطأهم لتصويب أمرنا، حتى نعرف كيف إذا ما أخطأنا نعود إلى الصواب على التو، دون أن يكون عندنا مجالٌ للخطأ، النبي ﷺ قال لسيدنا أبي ذر كما ذكرنا "إنك امرؤ فيك جاهلية" أخطأ في حق سيدنا بلالٍ رضي الله عنه، ولكنه بمجرد كلمةٍ هزّه بها رسوله الأعظم ﷺ إذا به يضع وجهه على الأرض والله لن يرفع ابن البيضاء وجهه عن الأرض حتى يطأ ابن السوداء بقدمه وجه ابن البيضاء وجه ابن البيضاء. إذن نحن لما نتذكر أصحاب المصطفى عليه الصلاة والسلام ندرسهم، نمعن في سيرتهم، إنما يكون لمثل هذه المعاني التربوية التي نأوب إليها من خلال هؤلاء الذين ربّاهم رسولنا الأعظم ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ، قال: "من حلف منكم فقال في حلفه باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه تعال أقامِرك، فليتصدق" النبي ﷺ لا يغلق الأبواب على المخطئين يفتح الأبواب، إنسانٌ اعتاد لسانه على ما كان في الجاهلية من أن يقول واللات والعزى، اللسان جارٍ على ذلك، الآن كما نرى الآن في عندنا كثير ما يحلفون والله بحلف بأولادي، والله بأبي وأمي، والله بحلف لك بأعز شيء عندي، هذا كله حرام لا يصح لا يصح، لكنْ إذا ذكّرت هذا الإنسان ماذا عليك أن تذكره؟ ما تقول له كفرت وخرجت عن الملة، لا تقول له عليك أن تستغفر الله وأن تقول لا إله إلا الله تعيد أمرك إلى التوحيد الذي أنت به مؤمن أنت ما خرجت، لأنه ما قال هذا الكلام وهو يريد اللات والعُزّى، إنما قال هذا لو قالها يريد اللات والعزّى كفر، لو قال والله أنا اقسم بأولادي على أنها مثل الله سبحانه وتعالى كفر ولا لا؟ كفر، لكنْ هذا ما قال هذا الكلام بهذا القصد إطلاقًا إنما قالها جريًا على اللسان، وهذا ما أكثر ما يجري على لسان الناس، والله أنا بحلف لك بشواربي، أهل الشام بشواربه أي شو بدنا بشواربه الآن؟ يعني لكنْ ما يقصد بهذا التعظيم إنما المقصود انه جرى على اللسان مثل ذلك، لكنْ هذا الأمر منهي عنه، ولا ينبغي للإنسان أن يكون عنده مثل هذا الحلف التافه، ومثل هذه الأقوال التافهة، ينبغي أن يكون الإنسان منضبطًا في لفظه وإذا أراد أن يحلف يحلف وهو صادق وبالضرورة، وليس أن يكون ذكر اسم الله جل وعز سبحانه وتعالى على سبيل أن يكون جاريًا على اللسان بهذه الكثرة التي تُفضي إلى عدم التعظيم للمقسِم به، هذا المقسم به هو الله جل وعز، فإذن مفروضٌ أن يكون عندنا إجلالٌ حين نريد أن نحلف بالله سبحانه وتعالى، نحلف به سبحانه وتعالى مُعظمين موقرين ولأمر الضرورة وليس لأمر جريانِ اللسان، فقال هنا النبي ﷺ: "مَن حلف منكم، فقال في حلفه: باللات والعُزى" أي أقسم باللات أقسم بالعُزّى، ما نقول له كفرت رأسًا نطلق الأحكام أنه في عندنا الآن، يعني الآمرين بالمعروف والناهون عن المنكر ما شاء الله كثروا في المجتمع، وكل واحد يريد أن يأمر وأن ينصح، لك أن تفعل ذلك، ولكنْ بما أمرك الله به من خيرية الدعوة إلى الله، من البسمة التي تأسر من تتحدث معه، من أن تلتمس لأخيك عذرًا، من أن تعلّمه إذا جهل، من أن تقول له الحكم إذا لم يعرف، وهكذا دواليك يكون أمر النصيحة، لا يكون لا فضيحةً، ولا يكون تبكيتًا، ولا يكون إفسادًا، فقال عليه الصلاة والسلام: "من حلف منكم فقال في حلفه باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه تعالى أقامرك، فليتصدق" يعني هذه عادةٌ كانت عندهم طبعًا ربنا سبحانه وتعالى حرّم أربعةً في موضعٍ واحد ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾. وذكرت لكم بأنَّ خيطًا دقيقًا يربط هذه الأربعة في مقاصد التشريع، إذ أنَّ هذه الأربعة المُحرمة تفضي إلى تضييع العقل، وإفساد التصور، لماذا؟ خمر ماذا تصنع بالعقل؟ تذهبه، الميسر ضيّع العقل، ضيّع العقل عن الإنتاج، إذ أصبح يريد أن يولد من المال مالًا متوهمًا، فهو لا يزرع، ولا يصنع، ولا يتاجر، إنما قتل كل مواهبه وعطّل جميع طاقاته، من وراء وهمٍ يريد أن يجني منه رزقًا، وهذا رزقٌ فاسدٌ إنما لعن الله صاحبه، إذن هذا القمار كان سائدًا عندهم، وكان معتادًا بين أيديهم، فلذلك ربما جرى على لسان تعا يا فلان مثل الآن الآن يعني والعياذ بالله نوادي القِمار، هذا اللي أبطل نوادي القمار في تركيا -رحم الله- أربكان، الشيخ نجم الدين أربكان هو اللي أبطل، لأنه كان اليهود اليهود عندهم القمار محرَّم، ولا يقامرون في إسرائيل، في إسرائيل ما في ولا نادي قمار، القمار حرام، لذلك أول هدية أبو مازن قدّمها لليهود، أن بنى لهم في أريحا نادي للقمار، فكانوا يأتون إلى تركيا وإلى أريحا لمّا نجم الدين أربكان -يرحمه الله تعالى- ذلك العملاق في رئاسة وزارته ألغى بقرارٍ وزاريٍ نوادي القمار، فانتقلت إلى أوروبا الشرقية، انتقلت إلى رومانيا وبلغاريا، انتقلت إلى هناك، صار اليهود لكنْ اليهود لا يلعبون القمار خارج إيه؟ خارج إسرائيل محرّم عندهم لا يجوز، يلعبون القمار عند غيرهم، فلذلك لما قال القرآن: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ﴾. اللات والعُزى، والأزلام من خلال الأوهام التي يُتلاعب بها اليوم، وبكل أسف الآن ينصبون لها شيوخًا في عنا شيوخ بيعرفوا بأيه؟ بالمستقبل، بروحوا لعندهم بقولوا شو الواقع؟ سموهن شيوخ أعوذ بالله، هدول شيوخ الضلال، هدول شيوخ الفتنة، هدول شيوخ العمى، هدول شيوخ تعطيل العقل الذي قد يُفضي إلى الكفر، لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى لذلك لمّا كان هذا تضييعًا للعقل، بخمرةٍ، أو بميسرٍ، أو بأنصابٍ، على أنها أوهامٌ، أو بأزلامٍ على أنه يرمي فيقول إن جاءت يمينًا تفاءلت، وإن جاءت يسارًا تشاءمت كلامٌ فارغ، كما يقول عندنا اليوم في عندنا منظرين اليوم على شاشات التلفزيون وفي وسائط الإعلام، ويُعطَون مقامات، من هم؟ المنجمون، المنجمون الذين يقرأون ما سيكون في العام القادم، والأبراج ويضعون لهم أناس متخصصين بقراءة الأبراج، متخصصين في تخصص بقراءة الأبراج، شوف على يعني الضحك على العقول، وكيف يعني ألا تتعجب أنت أنه واحد ابن القرن عشرين قرن الحادي والعشرين يُضحك عليه، يعني إذا أنت تقول أنت عن تلك الأمة الأمية ضُحِك عليها، طيب هدول أمة متعلمة أمة مثقفة، أمة الفيسبوك، أمة تويتر، أمة وسائل التواصل، هذه الأمة يُضحَك عليها بمثل ذلك، وبيطلع إنسان تافه يستطيع هالرويبضة يتحكم بعقول الناس؟ يا سبحان الله، وصدقت

سيدي رسول الله لما قلت بأنه "سيكون هناك سنون خدّاعات يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق، ويؤمّن فيها الخائن، ويخوّن فيها الأمين، ويتكلم فيها الرويبضة" قالوا: وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: "هو التافه الذي يتحدث في أمور العامة" رسم، رسم لهذا الواقع الذي نحن نحياه، شيءٌ عجيب، لذلك لما نأتي دائما لقضية لا إله إلا الله هي الرمزية التي ينبغي أن ندور حولها جميعًا لا إله إلا الله، متى صدقت لا إله إلا الله صدق كل شيءٍ بعدها، لأنك حينئذٍ عرفت حدود عبوديتك وعظمة ربك سبحانه وتعالى، لا إله إلا الله، لذلك المصطفى ﷺ لما قال لنا بالحديث "الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله كل ما دون ذلك، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" سبع وسبعون شعبة ألف شعبة ملايين الشُّعب قس، هذا العدد ليس المقصود فيه بذاته بقدر ما أنه المقصود فيه بكثرته، فإذن جعل لك العنوان الذي به تهتدي لا إله إلا الله، متى صدقت بإحساسك، وقلبك، وشعورك، ووعيك، وعقلك، وتصرفك، حينئذٍ بدأت تختط الطريق المستقيم، لا إله إلا الله، لذلك لا إله إلا الله لها يوم القيامة كما نعلم بأنّ صاحب البطاقة لما يأتي بطاقته فيجعلها في ميزان الحسنات، فماذا تفعل لا إله إلا الله؟ ترجح ترجح، لأنه كان موحدًا، مذنب ولكنّه موحد، موحد بمعنى أنه يعرف نفسه بأنه عبد، ذل العبودية هو المقبول عند الله، طالما ذللت بعبوديتك فربك رحيمٌ رحمن، نسأل الله تعالى أن يحققنا بعبوديتنا وأن يجعلنا أذلاء بين يديه فقراء إليه، نسأل الله تعالى أن يحققنا بذلك إنه سميعٌ مجيب، إذن هنا النبي ﷺ يجعل الأدوية فقال والله "من حلف منكم فقال في حليفه باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله" نقّى قلبه، ونقى عقله، وأزال ذلك الوهم الذي سرى إليه، فقال لا إله إلا الله "ومن قال لصاحبه تعال أقامرك، فليتصدق" لأن الله سبحانه وتعالى هو علّمنا في القرآن ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. اعمل حسنةً فإن الله سبحانه وتعالى يذهِب عنك تلك السيئات، بل يجعل لك بتوبتك سيئاتك حسنات سبحانه وتعالى، ولذلك لما قال: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾. للذاكرين، الغافلون ليس لهم فائدة من أراد أن يبقى في غفلته لا يمكن أن يتذكر، إنما يتذكر من كان له عقلٌ وألقى القلب إلى ربه إنما يستجيب بمثل النداء الذي ينادى به نعم.

بعد ذلك يقول الحديث الثالث، عن ثابت بن الضحاك رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ، قال: "من حلف بغير ملة الإسلام فهو كما قال، ومن قتل نفسه بشيءٍ عُذِّب به في نار جهنم، ولعن المؤمن كقتله، ومن رمى مؤمنًا بكفرٍ فهو كقتله" روى هذه الثلاثة الأصول الخمسة. هي أحاديث صحيحة، إذن حديث خطير جدًا "من حلف بغير ملة في الإسلام فهو كما قال" يعني كفر؟ لا ما كفر، لكنْ هذا من باب التبكيت عليه والإحراج له، وشدة التنكير لِما قام به، يعني لما بقول ﷺ "ما آمن بي من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم" يعني ما آمن إيمانًا كاملًا، فهذا لما حلف ما قصد بحلفه إلا إذا كان ناويًا، يعني كل القضايا شوفوا يا إخوانا وقضية النية لا يعلمها إلا الله، قضية النية لا يعلمها إلا الله، فمن كان ناويًا بحلفه باللات والعزى تعظيم اللات والعزى على أنها شريكٌ لله، كافر تمام؟ بينه وبين ربه، لكنْ من قالها وقال لا إله إلا الله، نحن في الظاهر ماذا نقول؟ إنه مؤمن، لاحظتم؟ فإذن الحكم في الظاهر شيء، وفي الباطن لا يعلمه إلا ربنا سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن نتألّى على الله لأجل أن نفرض معرفتنا، لكنْ قد يقول واحد يا اخي هذا بنعرفه هذا رجال هذا رجال يعني ملعون وكذاب، هذا ما لك علاقة في هذه القضية، لا يمكن أن يعلم القلوب إلا بارئها سبحانه وتعالى نعم "فمن حلف بغير ملة الإسلام فهو كما قال" شوفوا الإمام الحافظ بن حجر بقول كلام جميل يقول كلامًا جميلًا: ويُحتَمل أن يكون المراد بهذا الكلام التهديد والمبالغة في الوعيد لا الحكم، وكأنه قال فهو مستحقٌ مثل عذاب من اعتقد ما قال. لاحظتم؟ يعني هذا الإنسان اللي بقول الكلام هكذا يرسله دون أن يتفكّر فيه وهذا الكلام الخطير، فقد يكون هذا الكلام الخطير يودي به إلى أن يكون عقابه عقاب من قال مثل هذا الكلام عن يقين، فهذا كلامٌ تحذيري، إذن هو كلام تحذيري، بقول: ونظيره من الحديث "من ترك الصلاة فقد كفر" فتارك الصلاة عند جمهور العلماء ورأيٌ للإمام أحمد معهم رأيٌ للإمام أحمد بأن تارك الصلاة فاسق وليس كافرًا، إذا كان قد تركها كسلًا وليس إنكارًا لا عمدًا، عمدًا لكنْ كسلًا تركها عمدًا كسلًا تركها عمدًا مع الاقرار بها ولكن من باب الكسل وليس من باب الإنكار لوجوبها، من أنكر وجوبها فقد كفر هذا متيقن، لو واحد قال الصلاة ليست فرضًا ولا أصلي ماذا يحكم عليك؟ بأنه كافر، لكنْ لو لم يصلي قم صلِّ متكاسل ما أراد يصلي، هذا عند جمهور الفقهاء بأنه مؤمنٌ مقصرٌ وله أحكام الإمام يعني أبو حنيفة يحبسه حتى يصلي، ويعزَّر من بعض الفقهاء، وعند الإمام أحمد -رحمه الله- رأيان؛ رأيٌ بأنه ليس بكافر، ورأي بأنه كافر، لكنْ هذا رأي الجمهور كما يقول يعني الآن هنا يُنظر الإمام حافظ بن حجر، إذن ونظير "من ترك الصلاة فقد كفر" أي استوجب عقوبة من كفر، يعني من ترك الصلاة استوجب عقوبةً كمن كفر بها فسيعذب في نار جهنم إن لم يتب ويؤديها في حياته الدنيا أي نعم "ولعن المؤمن كقتله" يعني هذا كذلك لتعظيم والتنديد بهذا اللفظ الذي يلعن به المؤمن مؤمنًا آخر، لكنْ هل هو كقتله معنى أنه نأخذه فنقتله؟ إذا لعن مؤمنٌ مؤمنًا هل نحكم عليه بهذا

الحديث بأنه عامدٌ متعمد ويأتي في حقه القصاص؟ ليس كذلك، إنما هو من باب بيان قبح هذا الكلام وشدته على هذا الإنسان "ومن رمى مؤمنًا بكفرٍ فهو كقتله" وقد باء بها أحدهما كما قال النبي ﷺ، كلها تأديباتٌ من النبي ﷺ لمؤمنٍ عليه أن ينصاع لسلوكيات هذا الدين ولآدابه ولتربيته نعم.

وسمع ابن عمر رجلًا يحلف: لا والكعبة، فقال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: "من حلف بغير الله فقد أشرك" "من حلف بغير الله فقد أشرك" يعني أشرك غير الله في التعظيم، فما يجوز له أن يشرك غير الله في التعظيم، لا يُعظّم إلا الله سبحانه وتعالى. وعن بُريدة، عن أبيه رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: "من حلف فقال إني بريءٌ من الإسلام، فإن كان كاذبًا فهو كما قال، وإن كان صادقًا فلن يرجع إلى الإسلام سالمًا" رواه ابو داوود والنسائي. وهذا ايضًا من زيادة الحرص على ألا يكون الإنسان في ألفاظه كثير من الناس أحيانًا لما ينفعلون يتحدثون بمثل هذه الألفاظ ألفاظ البشعة التي يقولونها، وهي مما نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن أن يقولوا إلا الحق فنسأل الله تعالى أن يهدينا للحق حيث كان وأن نكون من أهله في كل مكان إنه سميعٌ قريبٌ مجيب.

يَرِد عن سيدنا عبد الله بن عباس كلام طيب، يقول فيه: لأنْ أحلف بالله مئة مرةٍ فآثم، خيرٌ من أن أحلف بغيره فأبر" شوف بقى الالتزام أنه النبي ﷺ نهى عن أن يحلف بغير الله، قال: لأن حلفت بغير بالله عز وجل مئة مرة فأثمت وتصدقت أو بررت في يميني أو لا أبر في يميني، فأفضل لي من أن أحلف بغير الله سبحانه وتعالى أي نعم، هذا ما يتعلق في هذا الباب في هذا اليوم إن شاء الله.

ونأتي بعد ذلك في درسنا القادم إلى بحثٍ مهم جدًا وهي اليمين التي تغمس صاحبها في نهار الجحيم، نسأل الله تعالى أن يجعل ألسنتنا ألسنة صدقٍ، ووعينا وعي حقٍ، وأن يرزقنا الاستقامة على حب المصطفى ﷺ وأن يجعل هذه الأيام المباركات أيام هذا الشهر العطر المبارك بإطلالته الندية، بإطلالته المزهرة، بإطلالته المشرقة، أن يجعلها إن شاء الله عنوان فرجٍ للمؤمنين في كل صقعٍ من أصقاعهم، فرّج يا ربنا عن أهل الشام ما هم فيه، فرّج عن أهل اليمن ما هم فيه، فرّج عن أهل العراق ما هم فيه، فرّج عن أهل ليبيا ما هم فيه، اللهم يا رب تكفلهم بعنايتك ورعايتك وفضلك وجودك واحفظ بلدنا هذا يا أرحم الراحمين، اللهم احفظه بحفظك اللهم احفظه بحفظك اللهم آمنا في هذا الوطن يا أكرم الأكرمين، واحفظ الحرمين الشريفين برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم من أراد أن يكيد هذه البلاد فكده يا رب العالمين، اللهم عليك به فإنه لا يعجزك إنك على ما تشاء قدير.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين شيخ عبد الله أنعم علينا.